



قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية  
دراسة حالة في المجتمع السعودي ودعوة لعودة قدسية الأسرة



د. عبد الرحمن بن عبد الله الشقير\*

دكتوراه علم اجتماع المعرفة  
الرياض

يناير 2019

## المحتويات

### مقدمة

أولاً: ملامح عامة حول الدراسة

- مصادر الدراسة

- مفاهيم الدراسة

ثانياً: عصر الإرهاب المباغت

ثالثاً: حالات قتل الأهل والأقارب

رابعاً: تحليل حالات ست لقتل الأهل والأقارب

خامساً: كيف يمكن تحليل قتل الأهل والأقارب

- في تراث الأديان

- مقولات العلوم الاجتماعية

- أربع فرضيات في قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية

سادساً: مقترحات للتعامل مع الإرهاب المباغت

المصادر والمراجع

## مقدمة

يقول تزفيتان تودوروف في "الخوف من البرابرة": "لا يكفي أن ندين العنف إذا أردنا أن نمنع عودته، يجب أن نحاول فهمه؛ لأنه لا ينفجر أبداً من غير سبب"<sup>1</sup>، إذ يكمن الخطر الذي يهدد المجتمع في حالات قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية في الصدمة العنيفة التي تحدثها في المجتمع لأسباب عدة، فهي بداية تضرب في عنصر الثقة الذي يعد أهم الروابط التي تجمع الأهل والأقارب، في الوقت الذي بدت فيه العلاقة التي تجمع القتل بقاتله في أفضل حالاتها القرابية، من جانب آخر أضفت الطريقة الوحشية التي نفذت بها هذه العمليات في أغلبها عنصر صدمة إضافي، كما أن الأيدلوجية التي يتبناها منفذ هذه الجريمة لا تبدو محددة الملامح، ما جعل هذه العوامل مجتمعة تقدم جريمة إرهابية جديدة وغير معتادة نوعياً، وذات تأثير صادم على المجتمع ومحيراً في فهمها. لذلك فإن محاولة فهم وتفسير هذه الحوادث أمر شديد الأهمية للتخفيف من حدة تأثيرها، ولمنع فرص تكرارها.

سبق أن نُشرت هذه الدراسة عام 2016، وقد أتاحت لي فرصة تحديث معلوماتها، وتطوير بعض التفسيرات التي توصلت إليها، وأجد أنه من المناسب إعادة نشرها. وتحاول هذه الدراسة تفسير حالات قتل الأهل والأقارب التي ظهرت فجأة بين عامي (2015، و2016) في المملكة العربية السعودية، وهي قضية لم تحظ بالدراسات الاجتماعية التي تستحقها حتى الآن، رغم أن محاولة فهم دوافع قتل الأهل والأقارب، قد يسهم في كشف جزء من جوانب قدرة الجماعات الإرهابية المستمرة على التأثير في الشباب والحضور اللافت للفكر المنحرف في منصات التواصل الاجتماعي. ويمكن التعامل مع هذه الحالات من منطلق كونها حالة إرهاب مبالغت جديد، تستدعي مدخلاً جديداً للفهم بعيداً عن آراء الكتّاب والمفكرين التي تركز على تقاذف التهم واستنباط النصوص التراثية المحرفة ضد المذاهب المخالفة.

<sup>1</sup> تزفيتان تودوروف. **الخوف من البرابرة: ما وراء صدام الحضارات**، ترجمة جان ماجد جبور، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث- كلمة، ط1، 2009،

## أولاً: ملامح عامة حول الدراسة

### - مصادر الدراسة

تعتمد هذه الدراسة بصورة رئيسة على أهم مصادر لدراسة هذه الحالات، هم الجناة أنفسهم، وهؤلاء إما هاربون أو في قبضة الأمن، رغم أنني لم أتمكن من مقابلتهم ولا الاطلاع على سجلات التحقيق في قضاياهم. لذلك، جمعت حالات قتل الأهل والأقارب، التي وقعت في السعودية، بجهد فردي وبدافع ذاتي من خلال تحليل مقاطع الفيديو، وهي مهمة لأن بعضها بثه الجناة بعدما وثقوا حالة القتل بالصوت والصورة، وبعضها بثته القنوات الفضائية من خلال رصد مكان الواقعة وشهادات الأهل والجيران. ورجعت إلى بعض ما نشرته الصحف المحلية، فحصلت على بيانات توفر المتغيرات المستقلة المطلوبة، إذ إن بيانات وزارة الداخلية لم تشمل جميع الحالات، ولم تصرح بالتفاصيل الدقيقة لكل حالة، كما أن المراكز الاجتماعية ومركز أبحاث مكافحة الجريمة في معزل عما يجري، ولم تنتشر دراسات ولا يوجد إحصاءات منشورة تساعد على تحليل حالات قتل الأهل والأقارب، والغياب عن الواقع شيء معتاد لدى مراكز الأبحاث الاجتماعية. أما المجني عليهم فجميعهم قتلوا رحمهم الله تعالى، وأهاليهم يعيشون الصدمة والذهول مثل بقية المجتمع.

قمت في بداية اهتمامي بحالات قتل الأهل والأقارب بمسح الدراسات والمصادر للاطلاع على مقولات علماء الاجتماع والجريمة ونظرياتهم، ولم أجد إلا نظريات عامة لجرائم تقليدية أو الجرائم المزمنة، ونظريات الإرهاب العام. وكل ما وجدته مقالات وتقارير صحفية أراها متعجلة في فهم الظاهرة، ومحاولة تجلية أسبابها. لذلك ستقوم الدراسة بتقديم عرض موجز للمفاهيم الرئيسية فيها، وتحليل الحالات المختلفة المتاحة حول قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية، والتعرف على سمات الجناة والمجني عليهم، وتحديد ما يمكن من خصائصهم الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والدينية، ثم تحليل حالات قتل الأهل والأقارب وفق مقارنة اجتماعية.

### - مفاهيم الدراسة

**مفهوم قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية:** يقصد به القتل لأسباب دينية، ولا يدخل معها القتل لأسباب اقتصادية ولا اجتماعية ولا القتل في جرائم الشرف، كما لا يدخل معها استخدام العنف والتعنيف ضد الأهل والأقارب لأسباب دينية. وظاهرة استخدام العنف، وليس القتل، بكل أشكاله ضد الأهل

والأقارب ليست جديدة، وهي في الغالب تأتي من الأصول إلى الفروع، أي من الآباء ضد الأبناء لأغراض التربية الدينية، ولكن أكثر حالات هذه القضية وأهمها، تقع في سياق عنف الفروع ضد الأصول، أو عنف الأبناء ضد الآباء والأمهات، مما يؤكد بأن حالات قتل الأهل والأقارب تعد انتهاكًا للفطرة البشرية ولقوانين الدولة، ولحقوق الأهل والأقارب، كما أنه ينذر بفقد الثقة داخل القرابة التي فيها المتدين والعسكري، ما يتطلب الانتباه إلى تعزيز ثقافة قداسة الأهل والأقارب، وحماية الثقة من التصدع، "فشبكات القرابة في هذه الحالات تفتقر إلى جسور مستقرة، فصار يعترئها الضعف والوهن... فليس بوسع شبكات القرابة أن تكون على يقين بإمكانات بقائها، ولا حساب عمرها المتوقع"<sup>2</sup>.

يمثل قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية محاولة مضللة لخلط الإرهاب بالجهاد؛ لذلك يحرص أغلب من قتلوا أهلهم وأقاربهم على تصنيف القضية بأنها جهاد ضد الكفار، وضد من حاد الله ورسوله، حسب زعمهم، ويوجز أبو النجا الحجاوي (مفتي الحنابلة بدمشق، توفي عام 968هـ / 1560م) تعريف الجهاد بقوله: "الجهاد هو قتال الكفار"<sup>3</sup>، وبلاغة هذا التعريف الموجز تكمن في دمج مفهومي الجهاد والقتال، وهما مصطلحين وردا كثيرًا في القرآن، مرتبطين بتحديد العدو المعروف بمصطلح الكافر. لكن العنصر المهم هنا هو تصنيف داعش للأهل والأقارب، بالكفار، وذلك لوصمهم وصمة منبوذة دينيًا واجتماعيًا، تمهيدًا للتبرؤ منهم، ثم قتلهم. ومبالغة منهم في الوصم، صاروا يروجون بأن الأهل والأقارب المهانين للكفار (يقصدون الحكومات) بأنهم أشد كفرًا من اليهود والنصارى، ومن جميع الطوائف التي يكفرونها، بوصفهم، حسب زعم أتباع داعش، أعداء من داخل المجتمع والدين، مما يصعب التعرف عليه بسهولة، بعكس الكافر الصريح كاليهود والنصارى.

ويمكن تعريف مفهوم قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية بأنه: "قيام أحد أفراد الأسرة، الذي ظهر بمظهر الغيور على الدين، بقتل قريب له، لسبب ديني"، وجوهر التعريف يحدد المتغير التابع، وهو قتل الأهل والأقارب فقط، ويحدد المتغير المستقل أو السبب بأسلوب فهم الدين، وهذا التعريف ينطبق

<sup>2</sup> زيجمونت باومان، الحب السائل: عن هشاشة الروابط الأسرية، ترجمة حجاج أبو جبر،

بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2016، ص 66

<sup>3</sup> محمود محمد أحمد، تطور مفهوم الجهاد: دراسة في الفكر الإسلامي المعاصر، بيروت:

الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2015، ص 51

على مصطلح الذئاب المنفردة، وسوف يرد تعريفهم لاحقاً، الذين يؤيدون فكر داعش، ولا يستطيعون الانضمام إليهم، فيقومون بعمليات قتل بجهود فردية. **المقصود بالأسباب:** السبب Cause لغوياً هو كما في تعريفات أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (توفي عام 471هـ/1078م): اسم لما يُتوصل به إلى المقصود<sup>4</sup>، والسبب فلسفياً هو: "ما يترتب عليه مسبب عقلاً أو واقعاً، فالمقدمات الصادقة سبب صدق النتيجة، وبعض الظواهر الطبيعية سبب ظواهر أخرى، وهذا هو المعنى السائد اليوم"<sup>5</sup>، ومن هنا يتبين أن الأسباب والنتائج عملية اجتماعية خارجة عن الرغبات الداخلية للفرد، وقد فضلت استخدام مصطلح (أسباب) على مصطلح (دوافع) Motif، لأن الدافع مصطلح نفسي يقصد به: البواعث الذاتية أو الباطنية، والدافع بهذا المعنى الخاص عبارة عن قوة داخلية موجهة، وأنه ينشأ داخل الفرد كنتيجة مباشرة لخبرته في الحياة، وإن كان يستخدم في الحياة اليومية بمعانٍ أوسع<sup>6</sup>، ويقصد بالأسباب في هذه الدراسة: المسوغات الأيديولوجية. ومن المهم في البداية أنؤكد على أنه لا يوجد سبب واحد يفسر تصرفات الإنسان، "بل مجموعة لا تنفصل من العوامل الشعورية والملاشعورية، فيزيولوجية، فكرية، وجدانية، اجتماعية، تتفاعل بالتبادل"<sup>7</sup>.

### مصطلح الذئاب المنفردة Lone wolf

يطلق تنظيم الدولة (داعش) وأدبيات الإعلام الغربي والعربي مصطلح "الذئاب المنفردة" على أتباع داعش الذين يؤمنون بأفكارهم، ولكن لا تربطهم بهم علاقة مباشرة، وينفذون هجماتهم، مع إعلانهم البيعة للبغدادي إذا استطاعوا أو ترك بصمة تدل على أنهم مجندون لتنظيم داعش، وذلك بصفة فردية وبسلاح خفيف، أو أبيض، أو باستخدام السموم، بطريقة تسعى لتحقيق هزة في المجتمع وإحراج الدولة. وكثيراً ما يوجه أعضاء داعش خطاباتهم للذئاب المنفردة من خلال مواقع الإنترنت، ويوتيوب، ومجلة دابق. ومصطلح الذئاب المنفردة ينطبق جزئياً على حالات قاتلي الأهل والأقارب، كما ينطبق على الذئاب المنفردة التي نفذت عمليات تفجير في

<sup>4</sup> علي بن محمد الشريف الجرجاني، **التعريفات**، بيروت: مكتبة لبنان، 1985، ص 119

<sup>5</sup> مجمع اللغة العربية، **المعجم الفلسفي**، القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،

1983، ص 96

<sup>6</sup> منير وهيبه الخازن، **معجم مصطلحات علم النفس**، بيروت: دار النشر للجامعيين [د.ت]،

ص 78

<sup>7</sup> نوربير سيلامي، **المعجم الموسوعي في علم النفس**، ترجمة وجيه أسعد، دمشق:

منشورات وزارة الثقافة، 2001، ج 3 ص 1050

مساجد السنة وحسينيات الشيعة في المملكة، وعلى الذين قاموا بعمليات صدم وإطلاق نار منفردين في عدد من مدن أوروبا.

### ثانيًا: عصر الإرهاب المباغت

يبدو أن هناك مبادئ تأسيسية لفهم حالات قتل الأهل والأقارب قبل الخوض في تفسيرها، وأهم هذه المبادئ والأسس هو تحديدها، وهو ما لا يكتمل إلا بمعرفة بيانات أولية ومتكاملة عن طبيعتها، وتحديد فضائها الاجتماعي، فهي تسمى جريمة وتسمى إرهابًا، لكنها في بعض الأحيان توصف باعتبارها عملاً شرعيًا مأجورًا عليه، كما في الحالات التي وقعت في مناطق نفوذ تنظيم الدولة داعش. وهذه تسميات فيها جانب كبير من الدقة حسب ظروفها المحيطة؛ لأن تصنيفها يخضع لتصنيف القانون لها ولحجم رد فعل المجتمع عليها، وإذا استبعدنا تصنيفها لدى داعش، وركزنا على تجريمها فمن المهم التنبيه إلى أنها تعد جرائم إرهابية مختلفة تمامًا عن غيرها. ويمكن القول إن حالات قتل الأهل والأقارب، خصوصًا اعتداء الفروع على الأصول، يعد جريمة منفصلة عن مفهوم الجريمة العام، فوقعها على المجتمع أشد من وقع الجرائم المعتادة، فعلم الجريمة كما يعرفه أدوين سذرلاند هو: "دراسة مجمل عملية صنع القانون، وخرق القانون، وإنفاذ القانون"<sup>8</sup>. ومن هذا التعريف يتبين أن تصنيف حالات قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية ضمن علم الجريمة المعتادة أو التي لها تصنيف وحالات سابقة في المجتمعات قد ضلل الباحثين، وأبقى على جوانب لم يستطع علم الجريمة حلها بمفرده، خصوصًا أن هذه الحالات تفتقد إلى الجانب النفعي العائد للجناة، وهو الجانب الذي تؤكد عليه نظريات الجريمة. وبالتالي، تتأكد أهمية سك مفهوم خاص بحالات الجرائم التي يتعدى تأثيرها حدود الواقعة القانونية، كالتالي تهز المجتمع وتفقد الثقة في مؤسسة الأسرة.

ومن المهم التأكيد على أهمية سك مصطلح يختص بحالات قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية، إذ يسمها بسمات خاصة بها قاموسيًا ومعجميًا، فينبغي عدم تصنيف هذه الحالات مع مفهوم الإرهاب Terror بصورة مطلقة، ولكن ونظرًا لأن حالات قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية نشطت خلال سنتين مضتا، لذلك أقترح أن تبقى تحت تصنيف الإرهاب، بوصفه مظلة عامة، مع ضرورة أن يحظى بعناية خاصة ويكون له أساليب بحث خاصة به. وعلى الرغم من كثرة تعريفات الإرهاب، فقد اخترت تعريف

<sup>8</sup> رولاند إيكروز وكريستين سيلرز، نظريات علم الجريمة، ترجمة ذياب البداينة ورافع الخرايشة، عمان: دار الفكر، ط1، 2013، ص 24

إبراهيم الحيدري لقربه من الجهاد ضد الأهل والأقارب، وهو: "كل عنف مسلح يرتكب بغرض سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي أو أيديولوجي أو ديني، ينتهك المبادئ العامة للقانون الإنساني"<sup>9</sup>، ونظرًا لارتباط حالات قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية بالعنف المسلح أيديولوجيًا ودينيًا، وأنه ينتهك مبادئ القانون الإنساني، إلا أنه يتميز بارتباطه بالتدين فجأة بين الجناة، والتنفيذ السريع والمباغت للقتل، وهذان عنصران أساسيان، إضافة إلى أنه صادم وليس له جانب عقلائي للجناة.

ويمكن تعريف حالات قتل الأهل والأقارب بمصطلح مقترح هو: "الإرهاب المباغت"، ويقصد به أنه إرهاب مفاجئ يتم بطريقة غير متوقعة، ينفذ بطريقة نوعية ويحمل عنصرين: المفاجأة، وأنه عمل غير مألوف ولا متوقع، وكذلك أن تأثيره اجتماعي يتركز على إحداث هزة للمجتمع وفقد الثقة بين أفراد. وينتهي بتحقيق الهدف منه، وهو هدف للجماعات الإرهابية وليس للجناة؛ فكل حالات قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية في جميع الديانات تختلف عن هذه الحالات؛ لأن غالب الجناة في هذه الدراسة ليسوا متدينين في الأصل، ولا من أسر متشددة دينيًا، وإنما دخلوا في التدين عرضًا، أما الجناة المتدينون قبل ظهور تنظيم داعش فهم يتبعون فكر القاعدة في الغالب، ومعروف أن أدبيات القاعدة وجبهة النصرة فيما بعد لا تدعو إلى قتل الأهل والأقارب، وإنما تدعو لقتل العسكريين وإن كانوا من الأقارب فقط، كما أن حالات قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية لا تعد تطورًا لحالات إرهاب القاعدة ولا حالات الإرهاب التي نفذت ضد المجتمع السعودي، وليس لها جانب عقلائي ولا نفعي يعود للجناة، وأخيرًا كانت كل حالة تنفذ بمعزل عن الحالات الأخرى.

تكمن خطورة حالات قتل الأهل والأقارب في أنها نواة عنيفة لتفكيك نظام الأسرة وتماسك القرابة؛ لأنها تسعى إلى ضرب عنصري الأمان والثقة بين أفراد الأهل والأقارب. ومما يؤكد على انعزال قتل الأهل والأقارب عن جرائم المجتمع، بحسب معرفتي بالمجتمع، أن بعضها يتضمن التردد وتصوير القتل وبثه في وسائل التواصل الاجتماعي بهدف شحن النفوس واستفزاز المجتمع، وهذا يدعم أنها حالات بزغت -والبزوغ هو الظهور بسرعة وبقوة- بمعزل عن أي تطور تاريخي لها، وأن حالات قتل الأهل والأقارب التي وجدت بين عناصر القاعدة لم تمس الأهل وأصول القاتل (الأب والأم)، مما يؤدي على عبثية الجهاد عند داعش وعدم مراعاة القواعد الأخلاقية ولا

<sup>9</sup> إبراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، بيروت: دار الساقي، ط1، 2015،



الفطرة البشرية. لذلك سميت حالات قتل الأهل والأقارب: "الإرهاب المباغت".

ومن المهم الإشارة إلى أن الدراسة استبعدت حالات من قتل الأهل والأقارب، كما يلي:

تم استبعاد حالات قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية وقعت في مناطق الصراع في سوريا والعراق، وكلها قام بها عناصر من أتباع تنظيم داعش، ومن أشهرها حادثة الداعشي الذي قتل والدته في الرقة في يناير/كانون الثاني 2016، بحسب ما تناقلتها وسائل الإعلام. وقد تم استبعاد هذه الحالات من الدراسة كونها وقعت داخل مناطق نفوذ تنظيم الدولة داعش، مما يعني شرعيتها لدى السلطة المسيطرة، ولم تصنف عندهم جريمة ولا إرهاباً وفق أنظمتهم.

كما استبعدت حالات قتل الأهل والأقارب لأسباب اقتصادية، أو خلافات عائلية، أو بسبب تعاطي القاتل للمخدرات، أو القتل في جرائم الشرف، كما سبق في تعريف المفهوم.

والثانية: إن قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية، في هذه الدراسة، ليست امتداداً لظاهرة إرهابية لها سابقة في المجتمع. ويوجد حالات إرهابية معروفة في أدبيات أعضاء القاعدة تعرف بأنها: اغتيال أبناء عمومة في الأسرة أو القرابة الواحدة، ولكن من الدرجة الثالثة وما بعد، فالتكفيريون الأقارب التابعون لتنظيم القاعدة لا يقتلون أصولهم كالأب والأم، ولا يقتلون إخوانهم الأشقاء، لذلك يتسمون بوجود عنصر الثقة بينهم والثقة في أسرهم، كما يمتازون بوضوح الهدف في تحديد ضحاياهم، لذلك؛ فهم يتمتعون بحنكة وخبرة وتنسيق عالٍ كفيل بأن يمنعهم من قتل أهلهم، وهذا يؤيد أن الذئاب المنفردة الذين قتلوا أهلهم وأقاربهم كانوا عبثيين بلا رؤية وبلا هدف، بل إنهم دخلاء حتى على الإرهاب نفسه، لأنهم جهلاء بأصول الجرائم التي ترتكب لأسباب دينية، وعقلانياتها ونفعيتها، أو هم أهل تنفيذ ميداني، وليسوا أهل نظر وفكر.

### ثالثاً: حالات قتل الأهل والأقارب

تهتم هذه الدراسة بتحليل ست من حالات قتل الأهل والأقارب نفذها من يمكن أن يطلق عليهم: الذئاب المنفردة لأسباب دينية، جميعها وقعت بين عامي (1436 و1437هـ/ 2015 و2016)، وحللتها مستعيناً بمنهج دراسة الحالة، ويقصد بها التعمق في تتبع حالة فردية أو ظاهرة، وهي مناسبة لمن أراد التقصي في تتبع الحالة، كما أنها تعويض منهجي لمن لديه حالات قليلة

ولا يستطيع استخدام منهج المسح الاجتماعي الذي يتطلب حالات كثيرة. وترى بولين يونج أن "من يستخدم منهج دراسة الحالة يستطيع أن يختبر مواقف وأشخاصًا وجماعات ونظمًا اجتماعية، إذ تكون نظرته إليها نظرة كلية، ومن الممكن أيضًا أن يصل الباحث إلى تعميمات عن طريق دراسة عدد من الحالات. قد تكشف هذه التعميمات عن عوامل سببية عديدة تؤثر في الموقف الكلي<sup>10</sup>، وقد رتبت الحالات زمنيًا حسب الأقدم، كما يلي:

### الحالة الأولى: قتل الأب

وقعت الجريمة في خميس مشيط، بتاريخ 27 رمضان 1436 هـ / 13 يوليو/تموز 2015. وكان الجاني، وهو شاب من المطلوبين للتحقيق في أنشطة ذات صلة بالإرهاب، قد قتل والده برشاش؛ لأنه مرافق لرجال الأمن المكلفين بإحضاره من المنزل، وأصاب اثنين من رجال الأمن، وقد قامت الجهات الأمنية بالرد عليه، مما أدى إلى مقتله. وأفاد المتحدث باسم وزارة الداخلية في تصريح لصحيفة الشرق الأوسط بأن المطلوب الأمني ليس في قوائم المطلوبين، وإنما كان مطلوبًا للاستجواب أو تحديد موقفه، وأن الجهات الأمنية طلبت من والده مرافقة الفرقة المكلفة بإحضار المطلوب<sup>11</sup>.  
يتضح من وصف المتحدث الأمني أن الجاني قتل والده إما عمدًا أو بغير قصد، ومن المستبعد أنه قتله عن ترصد، وإنما وجده في ظرف مكاني وزماني مفاجئ. وتعد هذه الحالة الوحيدة التي فيها لبس، ويبدو أن الحادثة الثانية التي تمت بعدها بيومين، مع وجود عنصرَي المباغته والصدمة -التي سببتها الحادثة الأولى- عززت من إبقاء الحادثة الأولى ضمن حالات قتل الأهل والأقارب، وأكد ترسيخها في ذاكرة المجتمع.

### الحالة الثانية: قتل الخال

وقعت في حي الشفاء بجنوب مدينة الرياض 29 رمضان 1436 هـ / 15 يوليو/تموز 2015، وعمر الجاني 18 سنة، تخرج من الثانوية، ولم يجد عملاً لمدة سنة، ولم يسبق له السفر إلى خارج المملكة، وقتل خاله، وهو ضابط برتبة عقيد، بسكين ومسدس كاتم الصوت. وبعد قتل خاله بالمنزل،

<sup>10</sup> إبراهيم إبراش، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، عمان: دار الشروق،

ط1، 2009، ص 163

<sup>11</sup> صحيفة الشرق الأوسط، يوم الأربعاء 29 رمضان 1436 هـ/ 15 يوليو 2015، العدد

13378

اتجه لسجن الحائر، جنوب الرياض، وقام بتفجير سيارته عند نقطة تفتيش الحابر الأمنية.

### الحالة الثالثة: قتل ابن العم

وهي القصة المشهورة باسم (تكفى يا سعد)، وذلك لأن المجني عليه ردد عبارة: تكفى يا سعد، موجهاً إياها إلى ابن عمه الجاني، واسمه سعد، يطلب منه عدم قتله. وتعد هذه الحادثة أهم حالة قتل هزت المجتمع، لأنها موثقة بالصوت والصورة، ورآها الجميع مرفوعة على يوتيوب. وقد وقعت في منطقة حائل، بتاريخ 11 ذي الحجة 1436 هـ / 24 سبتمبر/أيلول 2015، عمر الجانيين 21 و18 سنة، يحملان شهادة الثانوية، ولا يعملان، وقد استخدمتا الرشاش في قتل ابن عمهما، وهو عسكري يحمل الشهادة الثانوية وعمره 21 سنة. وحسب إفادة الأقارب، كان القاتلان والمقتول ملازمين لبعضهم بحكم القرابة وتقارب العمر، وينجزون أمورهم بشكل جماعي. قال والد القاتلين عنهما: "إنهما طوال اليوم أمام شاشة الكمبيوتر". ولم يكونا مطلوبين أمنياً، وأكد أحد أفراد القرية في لقاء صحفي معه، بأن القاتلين تغيرا بعدما استخدمتا الإنترنت. مع أن إمام المسجد أفاد أنهما غير ملتزمين بالصلاة في المسجد. ولم يظهر عليهما مظاهر التدين. والحالة الاقتصادية للقاتلين متوسطة من خلال شكل المباني في القرية التي يعيشان بها.

صدر حكم المحكمة الجزائية المتخصصة بتنفيذ القصاص قتلًا بالجاني، ونفذ الحكم يوم الثلاثاء الموافق 13 نوفمبر/تشرين الثاني 2018. وقد أفاد موقع "العربية نت" الإلكتروني (بتاريخ 13 نوفمبر/تشرين الثاني 2018) بأن القاتل سعد قد اعترف بأنه قتل ثلاثة من رجال الأمن، وذلك إثر تأثره بفكر تنظيم داعش بعد متابعته حسابات متطرفة على منصات التواصل الاجتماعي (غالبًا تويتر) التي حرضته على قتلهم، واعترف الجاني أيضًا بأنه تدرب على استخدام السلاح بمشاركة أخيه في الكهف ذاته الذي نفذ فيه عملية قتل ابن عمه.

### الحالة الرابعة: قتل ابن العم

وقعت في القصيم، بتاريخ 7 جمادى الأول 1437 هـ / 15 فبراير/شباط 2016، من ستة من الجناة الأقرباء، تتراوح أعمارهم بين 18-32 سنة، قتلوا ابن عمهم العسكري برشاش، وقد عُثر معهم على كتب تطوير الذات، وكتب عن البرمجة اللغوية العصبية والعقل الباطن، وعلى عديد من بطاقات الصراف. منهم ثلاثة كانوا سابقًا عازفين على العود ومحترفي

قرصنة وشبكات، لكن خلال سنتين ابتعدوا عن أي اجتماعات للعائلة والأقارب.

#### الحالة الخامسة: قتل أحد الأقارب

وقعت في القويعية، بتاريخ 27 جمادى الثانية 1437هـ / 5 أبريل/نيسان 2016، واستخدم الجاني رشاشاً لقتل قريبه الضابط، وقيل: إنه خاله. وهذا غير صحيح، وقد كان الجاني ضمن أحد المطلوبين أمنياً في إطلاق النار بمسجد المصطفى بالدالوه، ومسجد قوات الطوارئ بعسير. ويبدو أن الجاني هنا كان من أتباع القاعدة، وله خبرات قوية في العمل الإرهابي، إذ اتبع إستراتيجيات القاعدة في القتل، من خلال استخدام رشاش وتوجيهه عن بعد، والترصد الدقيق لخط سير المجني عليه اليومي، وتقصدته لقتل عسكري وقريب من الدرجة الثالثة أو أبعد، وليس من الدرجة الأولى ولا الثانية.

#### الحالة السادسة: قتل الأم

وقعت في حي الحمراء بالرياض، يوم الجمعة 19 رمضان 1437هـ / 24 يونيو/حزيران 2016، حيث قام بهذه الجريمة أخوان توأمان، عمرهما 18 سنة، ولا يعملان، ومتوقفان عن التعليم عند المرحلة المتوسطة، وكانا يدرسان في مدارس أهلية، واستخدما في قتل والدتهما ساطوراً وسكاكين، ولم يكونا مطلوبين أو لديهم أي سوابق جنائية. كما طعن الأب (73 سنة)، والأخ (22 سنة)، وفشلت محاولة طعن الأخت (29 سنة) لأنها تحصنت بإحدى غرف المنزل. وقد ألقى الجهات الأمنية القبض عليهما قبل فرارهما. تسببت هذه الحادثة بصدمة شعبية كبيرة، إذ لا يوجد أي مؤشرات إلى أنها ستحدث، كما أن الجناية وقعت على الأم المسنة، مما زاد التعاطف الشعبي معها، وقد حضر جنازتها عدد كبير وغير معتاد من الناس.

#### رابعاً: تحليل حالات ست لقتل الأهل والأقارب

كنت بحاجة إلى معرفة ثمانية متغيرات مستقلة، هي: عمر القاتلين، وحالتهم الاجتماعية، ومستواهم الاقتصادي، ومستواهم التعليمي، والبطالة، وعلاقتهم بالتقنية ووسائل التواصل الاجتماعي، والمنطقة التي يسكنوها، ومدى وجود قريب عسكري لهم، وذلك لمحاولة التعرف على السبب الدافع لعملية قتل الأهل والأقارب. وقد جمعت الملاحظات للحالات الست الخاصة

بالبيئة الاجتماعية والاقتصادية والسمات الشخصية للجناة من تغطيات بعض وسائل الإعلام التي لديها مراسلون زاروا مناطق الحوادث، وذلك بعد أن طلبتها من مركز أبحاث مكافحة الجريمة، ولم أتمكن من الحصول على أية معلومات. وهذه المتغيرات تعد مهمة وكافية لإجراء الدراسة في سياق الفضاء العام الذي نشأت فيه حالات قتل الأهل والأقارب.

اتسمت بعض حالات قتل الأهل والأقارب بسمات اجتماعية نوعية، بحسب ما رصدته من ردود أفعال صدرت في وسائل التواصل الاجتماعي في حينها، فهي هزت المجتمع، وتسببت في فقد الثقة بين كثير من أفراد الأسر والأقارب، خصوصاً أن من بينهم من هم متدينون فجأة، أو بينهم متدين وعسكري؛ ولذلك فقد كانت صدمة اجتماعية عنيفة رفعت من الوعي الاجتماعي تجاه التشدد الديني ونبذ المجتمع بشكل غير مسبوق. ومن هنا، كانت الحالات جديرة بالدراسة مهما كان عددها.

ويمكن ملاحظة أن السمات الأساسية التي يشترك فيها القاتلون في الحالات الست هي التالي:

- أن جميع الحالات وقعت في سنتين متتاليتين خلال عامي: 1436هـ، و1437هـ / 2015 و2016، إذ لم يعرفها المجتمع قبل 2015 ولم يعرفها بعد 2016 -على الأقل حتى اللحظة هذه- وبعضها كانت متتابعة أو بالغة العنف، وذلك لمنحها عنصر المباغته التي يمكن أن تهز المجتمع وتفقد الثقة في مؤسسة الأسرة والقرابة. واللافت أن هذه الفترة الزمنية تزامنت مع بداية أفول نشاط تنظيم داعش، وهذه المدة الزمنية شهدت أواخر عهد نشاط تنظيم داعش الذي بدأ يخفت بعده، ولم يعد لحضورهم أي احترام بعد ارتكابه سلسلة هجمات على الأهل والأقارب، ثم فشل مبادرة "الذئاب المنفردة" التي أطلقتها داعش ضد المجتمعات. وربما إن تنظيم داعش قد شعر باحتقار المجتمع له بعد إطلاقه الذئاب المنفردة التي قامت بعمليات حالات قتل الأهل والأقارب بأساليب بربرية، ولذلك توقف عن هجماته.

- إن جميع القاتلين من جنس الذكور، وتتراوح أعمارهم بين 16-32 سنة، وجميعهم غير متزوجين، وإن أغلب القاتلين لم يسافروا خارج المملكة، وإن مستواهم الاقتصادي -بحسب ما اتضح لي من تغطيات الإعلام والمقابلات التي أجريت مع ذويهم وجيرانهم- ما بين مستقر إلى ضعيف، مما يعني أنهم من ذوي الطبقة الوسطى المتوسطة

والطبقة الوسطى الهشة، وتعليمهم ما بين المرحلة الثانوية والمرحلة المتوسطة، وقليل منهم جامعيون، وأكثرهم يعيش بلا عمل. ووجدت أن عددًا من الحالات تعرضوا للتقنية ووسائل الاتصال لساعات طويلة قبيل تنفيذ عملياتهم بأشهر، وأن بعض الجناة لم يكونوا مطلوبين أمنياً، وليس لديهم ارتباط مسبق بالجماعات الدينية المتشددة والإرهابية. وجميع هذه المتغيرات تشكل ضغطاً على الأفراد، وكلما زاد عدد المتغيرات على الفرد زادت فرصة التأثير فيه وتوجيهه؛ فهم في وضع غير مرتاح اقتصادياً ولا اجتماعياً.

- توزعت مناطق تنفيذ العمليات بين مدن كبرى وصغرى في المملكة، وبين الجنوب والشمال والوسط. كما أن أربعة من أصل ستة من المجني عليهم من الأهل والأقارب يعملون في القطاع العسكري، ما بين ضباط وأفراد، ومنهم واحد حصل على وظيفته بالعسكرية برتبة صغيرة ولم يكمل فيها سنة، وهو صاحب عبارة: تكفى يا سعد. وقد يفسر هذا أن العمل في القطاع العسكري يمثل أهم محور يستخدمه أتباع داعش لإقناع ضحاياهم بجواز قتلهم، خصوصاً مع وجود فتاوى سابقة لأتباع القاعدة تجيز قتل العسكر، من أهمها كتاب "الباحث عن حكم قتل أفراد وضباط المباحث"، لأبي جندل الأزدي.

**ثم تشير السمات السابقة إلى عدد من النقاط يمكن الإشارة إليها كالتالي:**

- يتضح من جميع المتغيرات السابق الإشارة إليها أنها متغيرات عادية توجد بين الإرهابيين كما هي بين الأشخاص العاديين، فالبطالة وانخفاض المستوى الاقتصادي والتعليمي والتعرض للتقنية ووسائل الاتصال، كلها متغيرات طبيعية في المجتمع. وبالتالي، فإن الربط بين المتغيرات المستقلة بوصفها عاملاً مفسراً لقتل الأهل والأقارب سيكون ربطاً زائفاً، ويعني ذلك أن هناك أسباباً أخرى تعتبر هي المحرك الأساسي للقيام بهذه العمليات، وفيما يبدو لي أن جوهر الفكرة الأساسية التي تفصل جريمة قتل الأهل عن بقية جرائم الجماعات الإرهابية والمتشددة هي تكفير الأهل والأقارب؛ فتكفير الأهل والأقارب يتطلب البراءة منهم، ثم قتلهم، وهذا ما صرح به بعضهم، كما أن أكثر القتالين حديثو التدين وبطريقة بدائية، إذ لم يكن لديهم الوقت بين تدينهم وارتكابهم للجريمة لمراجعة العلم الشرعي وفرز الأقوال المعتمدة عن الأقوال الشاذة، وإنما كانوا في دور متلقي

المعلومة، فصار من السهل صدمهم بأي تفسير ديني شاذ، ثم تصويره على أنه الدين الحق الذي لم ينهض بتطبيقه أحد، كما سيأتي.

- من أهم ما يمكن التنبيه له هو الفئات العمرية للجناة، إذ تبين أن أكثرهم صغار السن لم يتجاوزوا العشرين سنة، وأن بعضهم ليس لهم تاريخ ولا انضمام لأي أيديولوجيا دينية، فكانت حالات القتل من قبلهم إرهاباً مبالغاً حرقياً بوصفه اختراقاً لأقوى روابط الثقة. وهؤلاء غالباً هم أداة لأجندات، وبعضهم تجاوزت أعمارهم خمسا وعشرين سنة، وهؤلاء يمثلون حالة اجتماعية. ويبدو أن القاسم المشترك بينهم هو قصور الإدراك الذاتي والاجتماعي، فهم إما صغار سن، أو تعليمهم منخفض، أو فقراء. وهؤلاء غالباً ما يسهل احتوائهم بتغيير قناعاتهم وتعبئتهم دينياً.

- عدد الذين تدينوا فجأة وقتلوا أهلهم لأسباب دينية أحد عشر قاتلاً، نفذوا أربع حالات قتل، ويتسمون بأنهم في عمر العشرين سنة، وتحصيلهم العلمي منخفض، وليس لهم خبرات سابقة مع الجماعات الدينية المتشددة، وإنما ظهرت على بعضهم قبيل ارتكابهم جرائمهم بعض الأمور التي استغربها المحيطون بهم مثل: ترك الصلاة بالمسجد، وعدم الخروج من المنزل، والجلوس وقتاً طويلاً في تصفح شبكة الإنترنت، مما يدل على أن رؤيتهم للعالم لمن حولهم قد تغيرت، وهذا يعني أن تصوراتهم لله تعالى ولدينه قد انحرفت إلى منحى "نصي" مختلف عما تربوا عليه، فتأويلهم الجديد للنص المقدس كفيل بتحطيم قدسية جميع الأنظمة والعادات والتقاليد. ويلحظ أيضاً بأنهم كانوا يختارون ضحاياهم من أقاربهم بعناية تنسجم مع أدبيات جماعتهم الدينية، مع أن قتلهم عبثي بلا رؤية ولا هدف نهائي، وإنما تلبية لتأويلهم الجديد لقداسة "النص" الذي أسيء فهمه، واستغل توجيهه إلى غير سياقه، وليس لديهم أدبيات تمكنهم من تحديد قتلاهم، لذلك كان ضحاياهم هم أهلهم وأقاربهم، واستخدموا أسلحة بيضاء كالسواطير والسكاكين، أو نارياً من مسافة قريبة جداً، ووسيلة تخفيهم وهروبهم مكشوفة، كما أن بعضهم وثق الحادثة بالصوت والصورة.

- من تحليل كلمة سعد الذي قتل ابن عمه في الشملية بمنطقة حائل، إذ قال: "أول شيء أبايع أبو بكر البغدادي على السمع والطاعة في المكره"، (بعدها صمت لثواني ثم أعاد بناء الجملة)، "أبايعه على السمع والطاعة في الشدة وفي اللين". من تحليل هذه الكلمة وكذلك

من ملاحظة زيه ومظهره، يمكن استنتاج أنه لم يحصل على الوقت الكافي للظهور بمظهر أتباع التنظيم المتمثل في الثياب القصيرة واللحية ونظافة المظهر العام، كما يلحظ من صمته وتعثره في تذكر الكلمة أنه لم يعتد على نطق الكلمات الفصيحة. وهذا يلفت انتباهنا إلى أهمية التعرف على الحياة الفكرية للمتدين فجأة في آخر شهرين عاشها قبل تنفيذ عملية القتل، والتعمق في التعرف على آليات فهمه للنص المقدس، بوصف ذلك الأساس الموجه لأفكاره ووجهات نظره وعلاقاته بأهله وأقربائه وعلاقاته الجديدة إن وجدت، فتاريخ حياة القاتل قبل جريمته بشهرين مثلاً يعد من أهم ما يمكن معرفته لتفسير حالات قتل الأهل والأقارب.

### خامساً: كيف يمكن تحليل قتل الأهل والأقارب

#### - في تراث الأديان

تعد ظاهرة قتل الغير أو الانتحار من أدبيات الأديان عموماً، وتختلف باختلاف أهدافها وشروطها. ولم أجد مصادر كثيرة عن حالات قتل الأهل والأقارب في تراث الأديان للتحقق من أنها حالات نشأت من تراث ديني إسلامي، وإن كنت أرجح مؤقتاً أنها فكرة دخيلة على الجماعات الدينية الإسلامية المتشددة، وقد أدخلها تنظيم داعش من تراث ديني غير الإسلام، ولكن باستخدام أدوات إسلامية ونصوص شرعية، خصوصاً أن داعش هو التنظيم الوحيد الذي ينشر نشاطه الفكري من خلال الأفلام ومجلة دابق بلغات إنجليزية وأوروبية، وبإخراج احترافي غير تقليدي. وقد وجدت قضايا الجهاد والجماعات الإرهابية بشكل عام، ولكن يوجد كتاب "Deadly Cults: The Crimes of True Believers" (2003) للمؤلف Robert L. Snow، وهو قائد شرطة أمريكي، وفكرته الأساسية تبحث في قدرة القادة الكارزميين في الطوائف الدينية على تحويل أتباعهم إلى قنلة لمن يختلف معهم في العقيدة، بل قد يقتلون أنفسهم فداء للقائد ولتعاليمه، عن طريق تلقينهم المعلومة المقدسة، ولكنه لا يتضمن معلومات عن قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية.

#### - تفسيرات من العلوم الاجتماعية

استعانت بعض الصحف المحلية بعدد من أساتذة علم الاجتماع وعلم النفس لتفسير حالات قتل الأهل والأقارب من منظور اجتماعي ونفسي، وقد



تراوحت تفسيراتهم ما بين: استخدام السحر مع الجناة، والتأثير عليهم من خلال ألعاب الأطفال الإلكترونية، وهي آراء مستبعدة بسبب أن من اقترحها لم يفسر لنا كيف تعمل، كما لم يقدم أدوات قياس لتأكيد تأثيرها. واستبعدت أيضاً فرضية الأسباب النفسية، ومن أبرزها: نظرية الدفاعات النفسية، ونظرية الباراسيكولوجي، ويقصد به التأثير على الشخص عن بعد، بوصفها تحتاج معالجة مختلفة منهجياً، ويصعب قياسها.

وقد أجرت صحيفة الوثام الإلكترونية (بتاريخ 6 نوفمبر/تشرين الثاني 2016) تحقيقاً صحفياً استطلعت فيه آراء عدد من أساتذة الجامعات السعودية في مكافحة الجرائم وعلمي النفس والاجتماع، عن حالات قتل الأهل والأقارب، فتركزت إجاباتهم في إحالتها للأسباب التالية: انتشار المخدرات بين فئة الشباب التي جعلتهم ينفذون أي شيء مقابل الحصول عليها، حتى لو وصل الأمر إلى القتل، وانتشار ألعاب العنف الإلكترونية التي تدعو إلى القتل، مما يزيد من احتمالية انتشار حالات قتل الأهل والأقارب، وانتشار المرضى النفسيين في الطرقات ووجودهم داخل الأسرة، وهم في حالة لا تسمح لهم بالتعايش السوي مع أفراد الأسرة. ويرى بعض الأكاديميين أن الحل يكمن في الاهتمام بالتنشئة الاجتماعية في السنوات الست الأولى، والابتعاد عن التعليم بالتلقين في التعليم العام، وانتقاء الأساتذة بشكل مهني، ومراجعة جميع المناهج. ولا أتفق مع هذه التفسيرات بسبب أنها قوالب تصلح أن تفسر بها أي جريمة، في حين أننا أمام حالات بالغة الدقة والتعقيد، وغير مسبوقه، ومن المهم أن ينتج لها تفسير دقيق يبحث في تعقيدات ظروفها، ليخرج بنتائج غير مسبوقه وأسباب خاصة بهذه الحالات.

#### - أربع فرضيات في قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية

نظراً لقلة البيانات حول حالات قتل الأهل والأقارب، وأنها حالات مباغته للمجتمع وغير مسبوقه، ولم يسبق أن تعرض لها المجتمع بهذه الصورة، فقد جمعت الأسباب التي عرضها الخبراء بالإرهاب والمتخصصون في العلوم الاجتماعية، كما سبق، وتبين أنه من الصعب نسبة حالات قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية إلى فرضية واحدة، وتقدم هذه الدراسة أربع فرضيات، قد تفسر كل فرضية جانباً من القضية، وذلك كما يلي:

### ○ الفرضية الأولى: التراث السلفي بين الإدانة والبراءة

طرح عدد من كتاب الرأي والمحللين في الصحف المحلية ووسائل الإعلام عددًا من الفرضيات والاتهامات بهدف تحميل جهات أو أفكار معينة مسؤولية ما حدث، وأهمها اتهام بعض الكتاب للتراث الإسلامي السلفي بأنه سبب نشوء حالات قتل الأهل والأقارب، مستدلين بنصوص من القرآن والسنة وأقوال العلماء وبعض الفتاوى المعاصرة كمسألة الولاء والبراء، وقتل المرتد، واتهام حلقات تحفيظ القرآن، والمناهج الدراسية الدينية، والفتاوى المحرّضة، وتراث ابن تيمية. كما يرتكن عدد منهم أيضًا إلى خطاب تنظيم الدولة (داعش)، الذي يبدو للمدقق أنه محاولة لإضفاء غطاء سلفي الاتجاه من خلال تدعيم مواقفه بنصوص سلفية إما مجتزأة أو مقولات شاذة وغير معمول بها، ولكنها تتقاطع مع اتجاههم وأجنداتهم.

والواضح أن هذه المقولات لا تصمد أمام النقد، فجميع أفراد المجتمع تعرضوا للتعليم والفتاوى، ولم يثبت أن لها تأثيرًا يصل إلى مستوى قتل الأهل والأقارب قصدًا، كما لا يدعمها شيء من خصائص القاتلين وسماتهم الاجتماعية والاقتصادية والبيئية التي عاشوا فيها، فهي سمات الطبقة الوسطى الطبيعية، وأكثر فتاوى التكفير التي صدرت من الجماعات الدينية المتشددة والإرهابية كانت موجهة ضد الأنظمة وضد القواعد العسكرية الأمريكية في المنطقة العربية، وليس من بينها تحريض على قتل الأهل والأقارب؛ وإن وجدت نصوص من التراث فهي وجهات نظر، ولم تدخل حيز التنفيذ واقعيًا، ولم يقل شيخ ولا مفتٍ يعتد بقوله بوجوب تنفيذ القتل لشخص بعينه، بل بقيت فتاوى ومقولات نظرية ثانوية من بين فتاوى أكثر حضورًا وسلمية في الحياة اليومية. كما أن تفعيل هذه النصوص على أرض الواقع ارتبطت بالولاء لفكر داعش، ولم يكن ذلك في فكر القاعدة ولا فكر جبهة النصرة؛ لأنه إن وجد فهو مطروح منذ قرون، وقد مر مجتمعنا بعقود من الجهاد لم يقتل أحد قريبه، أما قصة الصحابي أبي عبيدة عامر بن الجراح عندما قتل والده، فقد أشار ابن عاشور إلى أنه "رُويت ثمانية أقوال متفاوتة قوة أسانيد استقصاها القرطبي في نزول هذه الآية، وليس يلزم أن يكون لها سبب نزول، فإن ظهرها أنها متصلة المعنى بما قبلها وما بعدها من ذم المنافقين وموالاتهم لليهود، فما ذكر لها من قصص لسبب نزولها فإنما هو أمثلة لمقتضى حكمها"<sup>12</sup>،

<sup>12</sup> محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر [د].

[ت]، ج 28 ص 58

ويبدو لي أن قصة القتل المنتشرة، إن صحت، كانت على أرض المعركة وليست غيلة، وأن أبا عبيدة تعرض للنفي الاجتماعي بعدها لفداحة الحادثة، فنزلت الآية في القرآن: "لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله..."، تعزية له وتخفيفًا عنه، وليست حصرًا للقتل ابتداءً؛ لذلك استبعدت فرضية اتهام التراث الفقهي بالحض على قتل الأهل والأقارب مهما كان متشددًا؛ لأن له سياقًا تاريخيًا مختلفًا.

وقد استخدم تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" المسائل الشاذة في التراث الإسلامي كثيرًا لتسويق مشروعه، واستعان بشباب دخلاء على التدين، ممن يحملون صورة ذهنية نمطية عن الدين وليس لديهم قدرة على الاطلاع الشرعي، ومستعدين للتلقين والتنفيذ، ومن أبرزها استخدام مفهوم قتل الأهل والأقارب بوصفه مرادفًا للجهاد، وفي المقطع الشهير المرفوع على يوتيوب والذي ظهر فيه أحد أعضاء داعش يسوغ فكرة قتل الأهل والأقارب مستشهدًا بدليلين من القرآن الكريم، ومما قاله: "ابدأ بالأقربين، الأقربون أولى بالمعروف، ما فيه معروف، أعظم معروف، الولاء والبراء..." (لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله)، حتى لو كان أبوك أو أخوك أو عمك، تبرأ منهم... تبرأ منه أولًا، ثم اقتله ثانيًا...". ويظهر من هذا النص بأن داعش تستخدم إستراتيجية أدوات العقيدة الإسلامية ذاتها، من خلال تكثيف المعنى في مسألة "الولاء والبراء" التي تعد أهم عقيدة، سواء دينية أو عسكرية. كما تستخدم تأويل القرآن الكريم بما يحقق مصالحهم. وقد أكد في المقطع أيضًا بأن عدو الإسلام الحقيقي هم المنتسبون إلى الإسلام، ويبدو أن هذه فكرة أساسية في منطق التكفيريين عمومًا، كما سمعت من أفاد أحد المقاتلين المنتمين إلى جبهة النصرة، ممن عادوا وتابوا، بأنه تحاور كثيرًا مع رجال من داعش، منتقدًا لهم بأنهم يكفرون المسلمين، فاستشهدوا بآية: "ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله"، وأن العقيدة الصحيحة، في زعمهم، هي البدء بقتل الطواغيت قبل تحقيق الإيمان بالله، والطواغيت عندهم هم الحكام ومن والاهم من العسكريين، ثم عامة الناس، ولذلك يفضلون قتل الأهل والأقارب باسم الجهاد.

وتمثل حالات قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية أوضح الدلائل ببعدها عن الاتجاه السلفي وقربها من فكر داعش، إذ إن الموقف السلفي يمنح الأهل والأقارب قدسية عالية في الحالة السكونية، ويحث على صلة الأرحام، ويشدد كثيرًا على تحمل أذاهم، حتى الكافر منهم، ويكون الحكم بهجر الأهل والأقارب في حالات معينة. في حين أن موقف داعش هو التعامل مع الأهل والأقارب في حالة ديناميكية، وهي وضعهم في حالة حرب، بوصفهم يقيمون

في مجتمع يكفرونه، ثم دعوا إلى التبرؤ من الأهل والأقارب، بمن فيهم الوالدان، ثم قتلهم، وتشجيع الذناب المنفردة على تحقيق هذا الهدف.

### ○ الفرضية الثانية: إعادة إنتاج فكر الأزارقة الخوارج

عند البحث في أيديولوجيات الملل والنحل التي ظهرت في صدر الإسلام، نلاحظ أن كثيرًا منها قد اندثر؛ لأنها، في رأيي، كانت تناهض المجتمع، وليس لها تنظير يعزز أمن المجتمع وتماسك مؤسساته، وأرى أن تنظيم الدولة (داعش) يحمل في داخله بذور سقوطه؛ لأنه لم يؤسس على فكرة اجتماعية، إذ يشترك فكر تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) مع فكر فرقة مندثرة كانت مشهورة بقوة بأسها ضد كل من يخالفها، بمن فيهم النساء والأطفال، تسمى الأزارقة، وهي من فرق الخوارج تنسب إلى نافع بن الأزرق (المتوفى سنة 65هـ / 685م)، واشتهروا في البصرة أولاً، ويبدو أنهم يؤمنون بعبثية فكرتهم وعدم وجود هدف نهائي لها، واستحالة تطبيقها. ومن أخطر فتاوى الأزارقة الاجتماعية كانت تكفير كبار الصحابة، وتكفير القعدة، وهم الذين قعدوا عن القتال، وأجازوا قتلهم وقتل من لم يهاجر إلى مناطق الجهاد، وقتل نسائهم وأطفالهم، كما كفروا مرتكب الكبائر<sup>13</sup>، وأهم مقولاتهم كانت إباحة "الاستعراض"، ويقصد بها قتل المخالفين أينما كانوا، ولم تجز "التقية"، لا قولاً ولا عملاً، وهما المسألتان اللتان اختلفت معهما فرقة الصُفريّة، وهي من فرق الخوارج أيضاً، وفارقتهم بسببها؛ لذلك كان الأزارقة في حروب مستمرة<sup>14</sup>، ويبدو أن آراءهم الراديكالية كانت رد فعل عنيف ضد انتشار الكبائر في المجتمع، وتغيير نظام الحكم مع صعود الدولة الأموية، ولذلك قضى عليهم الحجاج سنة 78هـ / 697م، ولم تقم لهم بعدها قائمة. ولاحظ فلهوزن، وهو من رواد المستشرقين الألمان ومن أوائل من حلل منهج الخوارج بعمق معتمداً على المصادر الأصيلة، أنهم كانوا رجال عمل وميدان، لا رجال نظر وفكر<sup>15</sup>، ويرى معيطة أن انغماسهم في الحروب

<sup>13</sup> محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، 1968، ج 1 ص 121،

122

<sup>14</sup> أحمد معيطة. الإسلام الخوارجي: قراءة في الفكر والفن ونصوص مختارة، سوريا: دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص 27

<sup>15</sup> يوليوس فلهوزن، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام: الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1958، ص 119

حال بينهم وبين صياغة نظرية متكاملة أو أيديولوجية، لذلك كانوا يخضعون لاجتهادات زعمائهم<sup>16</sup>.

يبدو لي أن طبقة القراء - وهم من طليعة الخوارج في العراق - كانوا نواة للعقل النصي التلقيني، وهو العقل المؤسس للتعصب والعنف ضد المخالف، إذ تبنا فكرة أن القرآن هو الحكم والوسيط في المشاكل التي تعترض المسلمين، وحملوا العامة على هذا الرأي، وكانوا هم أول من نقضه عندما ثاروا على معاهدة الصلح وإقرار التحكيم الذي ألزموا به علياً رضي الله عنه، فكانوا هم طليعة الخوارج<sup>17</sup>. فالخوارج لا يعترفون بالجماعة التي تمثلها الدولة، وأن لا مكان في بلاد المسلمين إلا للصالحين، فمزقوا بهذه الفكرة شمل الجماعة، واستحلوا دماء خصومهم من المسلمين، ولم يعد جهادهم ضد الكفار، بل ضد أهل السنة والجماعة من عامة المسلمين، ويرون فيهم أنهم كفار، بل أشد كفرة من النصارى واليهود والمجوس، ويعدون قتال عدوهم هذا الداخلي أهم الفروض، ويرون أنهم المسلمون الحقيقيون وحدهم<sup>18</sup>.

ويشترك الأزارقة مع داعش في سمات اجتماعية وأيديولوجية متقاربة، وإن بعد الزمان بينهم. وفي حال المقارنة فيما بينهما، نلاحظ التالي: يشترك الأزارقة مع داعش في نظرتهم للدولة، إذ ناهض الأزارقة الدولة الأموية، واتهموها بالبعد عن الإسلام، وأنهم هم من يمثل الإسلام الصحيح، وزايدوا عليها بالدين من خلال فكرة المدينة الفاضلة. كما ناهضت داعش الدولة السعودية، بوصفها أهم دولة ترعى الإسلام السني، واتهموها بابتعادها عن الدين الصحيح، وزايدوا عليها بالدين باستخدام خطابات يلقيها شباب سعوديون ملتحقون بداعش. كما أن كليهما يؤسس أتباعه عن طريق التلقين، ومبايعة قائد كارزمي ذي جاذبية، على الموت في سبيل تحقيق الهدف الذي يدعوهم إليه، وكليهما يدعو إلى قتال المسلمين قبل قتال الكفار، وكليهما يؤمن بمجتمع عسكري مسلح لا مدنية فيه، وأن الجهاد والموت في سبيله هو غايتهم، وكليهما أهل حرب وقتال، وليس أهل فكر ونظريات علمية. ومن هنا، واستناداً إلى ما سبق من علاقة منهج داعش في الحياة مع منهج فرقة الأزارقة الخارجية، فيمكن تصنيف فكرة قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية بأنها إعادة إنتاج لفكر الأزارقة، فيما يبدو، وبعث جديد لتراثهم، خصوصاً فيما يتعلق بتكفير المخالف والتبرؤ منه وقتله. ومن يتابع خطاب داعش قد

<sup>16</sup> أحمد معبطة، مرجع سابق، ص 22

<sup>17</sup> يوليوس فلهوزن، مرجع سابق، ص 14

<sup>18</sup> يوليوس فلهوزن، مرجع سابق، ص 32

يجد في أدبياتهم بذور نبتة خارجية أزرقية مع حرصهم على تأصيل فكرهم بالصبغة السلفية، واستخدامهم لأدوات السلف في التبرير وفي الحوار.

### ○ الفرضية الثالثة: تنشيط التدين البدائي

يقصد بالمتدين البدائي: الأفراد الذين يتدينون فجأة وليس لديهم حصيلة معرفية، ولم يتعرفوا على الفضاء الديني والجماعات الدينية ومنهجها ورموزها، مما يوفر فرصة لتعبئتهم بنصوص دينية صريحة في الربط بين حقيقة الإيمان وتكفير من يخالفهم، ثم تنشيط حماسهم الدينية بارتكاب جنايات حالات القتل. ومن هنا، يكون المتدين البدائي مثل الإنسان البدائي الأول الذي احتاج مدة طويلة للتعرف على أبجديات الحياة، فهو يؤمن بهدف هش ويملك أدوات تنفيذه، ولكنه لا يفكر في عواقبه. وتبين لي من تحليل الخلفية العلمية لقتلة الأهل والأقارب لأسباب دينية، ولظروف ارتكابهم لجرائمهم، أنه يمكن تصنيفهم، في رأيي، إلى صنفين، هما:

الصنف الأول: قاتل أيديولوجي مرتبط بالجماعات الدينية المتشددة، وبعضهم مطلوبون أمنياً، وعدد هؤلاء اثنان فقط، ويمثلان الحاليتين الأولى والسادسة. ويمكن تصنيف هؤلاء بأنهم امتداد للقاعدة حتى لو التحقوا بداعش، إذ يكون المجني عليه من قرابتهم من الدرجة الثانية والثالثة وليس من الدرجة الأولى التي تعد مقدسة لدى أتباع القاعدة، ويستخدمون السلاح الناري، ويؤمنون لهم وسيلة هرب محكمة.

والصنف الثاني: قاتل بدائي دخيل على التدين، وهذا هو الأهم، لأنهم هم من يقتلون أصولهم (الأب والأم)، ويقصد به في هذه الدراسة: الأشخاص الذين لديهم صورة ذهنية شاذة عن الدين، وأنه يتركز في الالتزام التام والولاء والبراء وإنكار المنكر والتكفير، ويعتمد هذا التصور على العاطفة والتلقين لا على الدليل والمنطق، ولذلك يعتقد القاتل بأنه يمتلك الحقيقة المطلقة، ويتم شحنه ضد الدولة والمجتمع بنصوص شرعية متلاعباً في سياقها التاريخي والديني والاجتماعي، أو من خلال عرض نصوص دينية صريحة نزلت في المشركين وإسقاطها على واقع المسلمين في بلد المتدين وعلى أهله وأقاربه. ويمكن أن يلتقي التدين البدائي مع العقل النصي، ويُقصد بالعقل النصي: الأفراد غير المؤسسين علمياً ولا منهجياً من الذين يؤمنون بقداسة النص، بغض النظر عن مدة تدينهم، دون تمييز بين ما هو معلوم من الدين بالضرورة وما هو تربوي وفقهي، ويؤمنون بوجوب الحصول عليه عن طريق التلقين لإيمانهم بعدم قدرتهم على فهم النص، سواء كان نصاً مؤسساً للإسلام كالقرآن

الكريم، والسنة النبوية، أو نصًا تراثيًا منسوبًا لأحد السلف، ويغلبون ظاهر النص على تأويله أو سياقه الذي وجد فيه، أو يفسرون النص ضد المجتمع؛ فالعقل النصي، كما يقول الخباز: يسعى لتكوين ثقافته وتصوراته عن العالم وعن الآخرين من خلال وسيط، هو النص<sup>19</sup>.

ويشترك كل من المتدين البدائي والمتدين الأيديولوجي في أن كليهما يحمل عقلًا نصيًا، وهو عقل يسقط نص الآية المقدسة وفق ما تلقاه، وهو يعتقد أنه يمتلك حق إسقاطها على من يخالفه، ولو كان قريبه. ويفسر بورديو النسخة الدينية البدائية بأنها: خطاب ديني رمزي، يشوه النصوص الدينية عبر خطاب عاطفي لا عقلانيًا؛ لأنه مستمد من خطاب ديني أسير الصورة الأولى البدائية، وتتحكم فيه ثنائيات ساذجة كالخير والشر، والإيمان والكفر، والعقل والنقل، إذ ينتقل الخطاب الديني إلى خطاب إلهي يتماثل مع النص الديني المقدس ويتماهي معه<sup>20</sup>.

ويبدو أن تأثير النصوص سيكون فاعلاً في الأشخاص الذين لم يسبق لهم التدوين ولا يعرفون أدبيات الاتجاهات الدينية واختلاف الفقهاء، ولا يميزون بين مسائل العقيدة عن المسائل الخلافية في الفروع؛ لأنهم سيفتقدون للحساسية من أدبيات الفكر الديني، ولن يميزوا بين الأدبيات وممارستها في الواقع، وهذا عنصر مهم لإرباك القائل، مع عنصر الوقت من خلال تسريع تنفيذ جريمته قبل أن يدرك أدبيات التدين والمعارضة، "ويستند الإرهابيون إلى منظومة فكرية وثقافية تسوغ أعمال العنف وتحاول تبريره وإعطاءه شرعية، وتستعين بشعارات ومقولات تخاطب الغرائز وتدغدغ العواطف البدائية دون وعي العقل"<sup>21</sup>.

ويمكن الدمج بين القائل الأيديولوجي المتشدد دينيًا، والقائل الدخيل على التدين، من خلال منظور الجماعات المتخيلة، فقد لاحظ عالم الاجتماع الأمريكي ريتشارد سينيت في كتابه "سقوط الإنسان العام" ظهور الأيديولوجيات الحميمية، التي تتمثل في ظهور فكرة "المصالح المشتركة" بدلاً من فكرة "الهوية المشتركة"، مما حولها إلى تمهيد وجداني لجماعة بعينها، يجمع بينها رفض كل من هم خارج دائرتهم الخاصة<sup>22</sup>. وجاء بعده بنديكت أندرسون ووضح في كتابه "الجماعات المتخيلة" أن سر التماهي الذاتي مع فئة كبيرة من الغرباء المجهولين هو اعتقاد المرء أنه يشاركهم شيئاً بالغ

<sup>19</sup> محمد الخباز، صورة المرأة في التراث الشيعي: تفكيك لآليات العقل النصي، بيروت:

دار الانتشار العربي، ط 1، 2009، ص 12

<sup>20</sup> إبراهيم الحيدري، مرجع سابق، ص 117

<sup>21</sup> المرجع السابق، ص 31

<sup>22</sup> زيجمونت باومان، مرجع سابق، ص 67

الأهمية حين يتحدث عنهم باستخدام الضمير "نحن" الذي يمثل الضمير "أنا" جزءاً منه<sup>23</sup>. وكما يوضح باومان بأن الطريق الوحيد لضم "المجهولين" إلينا "نحن" هو تصويرهم باعتبارهم شركاء في طقوس اعترافية<sup>24</sup>. ويوضح باومان بأن سياق الفعل البشري، صار يمثل، بسبب العولمة، "وعاء زائراً بأصدقاء وأعداء محتملين، وتلوح فيه إمكانية تشكل الروابط العائمة والعداوات المنجرفة فترة من الزمن، لكنها ما تلبث أن تذوب وتتفكك مرة أخرى، وتفسح الطريق لتشكلات أخرى مختلفة، فالجماعات المتماثلة وعاء محدد سلفاً ينتظر من يحتويها بمادته... فهذه الجماعات لا تدوم أطول من الانفعالات التي تجعلها في بؤرة الاهتمام وتدفع إلى تجميع المصالح، وهي مصالح عابرة، لكنها ليست أقل حدة، تحت على التجمع والاحتشاد والالتزام بالقضية<sup>25</sup>.

يتضح أن القاتل البدائي المتمثل في الذئاب المنفردة، يعد تطوراً نوعياً خطيراً في أساليب الإرهاب لأسباب دينية، وهي تؤكد على أن تنظيم داعش مدعوم بمركز دراسات إستراتيجي لديه أدوات جمع بيانات الأشخاص وتفكيك المجتمع بدقة لا يمتلكها الفكر التقليدي.

#### ○ الفرضية الرابعة: العقل الأداة

تعد مدرسة فرانكفورت النقدية من أهم المدارس الفكرية التي فضحت العقل الأداة، ووصفته بأنه عقل قاصر، ومضلل، ويحجب الفهم الصحيح لطبيعة الحياة الاجتماعية، ويقدم تفسيراً مشوهاً للواقع، كما أنه عقل يسعى إلى تقليص قدرات الفرد وحرية واستقلاله، وأن هناك قهراً يمارس عليه بصور وأشكال مختلفة من مؤسسات سياسية واقتصادية<sup>26</sup>. يمثل فكر داعش، بوصفها مؤسسة سياسية لها أجنات عدوانية ضد المجتمعات، وتمارس نشاطها من خلال الفضاء الديني، تمثل "العقل الأداة"، وهو عقل عنيف ينظر لعقلانية أهدافه، وكيف سيحققها من خلال أفراد لا يجمعهم بداعش إلا الإيمان بفكرة مؤقتة لتنفيذ جرائم قتل عشوائية، بحسب ظروف الذئاب المنفردة التي يصنعها في بلادها، بغض النظر عن محتواها ولا أخلاقياتها. وغالب من قاموا بالفعل الجنائي ضد الأهل والأقارب

<sup>23</sup> المرجع السابق، ص 67

<sup>24</sup> المرجع السابق، ص 67

<sup>25</sup> زيجمونت باومان. الحب السائل، مرجع سابق، ص 68

<sup>26</sup> كمال بومنيير، العقل الأداة بوصفه شراً، ضمن أعمال ندوة الشر: القيمة والخطاب-

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان- تونس، فبراير 2013، ص 99



إنما هم أدوات تنفيذ للعقل الأذاتي الذي يمثل داعش، تم توجيهها لقتل الأهل والأقارب بوصفهم أشياء ليس لها قدسية.

### سادساً: مقترحات للتعامل مع الإرهاب المباغت

ينقل عالم المستقبلات المعاصر الباكستاني- البريطاني ضياء الدين سردار عن دانيال غاردنر في كتابه "ثروة المستقبل: لماذا تفشل توقعات الخبراء" قوله: عندما يصبح كل شيء لا يقينياً، فلا يوجد ما يمكن التنبؤ به. ويرى سردار أن علاج هذا الوضع يمكن أن يكون باستخدام طريقة بناء السيناريوهات، لكنها طريقة لا يمكن الاعتماد عليها بصورة دائمة لأن بناء السيناريوهات لا يأخذ في الحسبان المتغيرات التي قد تقع بين الحاضر والمستقبل الزمني الذي تم تصميم السيناريو للتعامل معه<sup>27</sup>. إضافة إلى عدم جمع أكبر قدر ممكن من المتغيرات ومن الحوادث المشابهة للظاهرة المدروسة من أجل المقارنة للخروج برؤى أوسع من المتاح.

وإذا تتبعنا تاريخ الجماعات الإرهابية التي تشكلت في المجتمع من بعض أبنائه، سوف نلاحظ وجود عملية نشوء وتطور للإرهاب، فكلما ظهرت جماعة وتم القضاء عليها، يظهر بعدها جماعة أكثر عنفاً. على سبيل المثال يمكننا ملاحظة التطورات التالية في العمليات الإرهابية التي قامت بها داعش والقاعدة وجماعة جهيمان، فبينما استحدثت داعش عمليات قتل الأهل والأقارب التي تهدف إلى ضرب كيان الأسرة ونسقتها، لا توجد مثل هذه العمليات في أدبيات الجماعة التي سبقتها وهي القاعدة، وإنما كان لها أهداف محددة تتركز في إخراج الكفار من جزيرة العرب، من خلال استهداف تجمعاتهم، واستهداف المؤسسات الأمنية المسؤولة عن حمايتهم، كما أن الجماعة التي سبقت القاعدة، المشهورة بجماعة جهيمان، احتلت الحرم المكي بدعوى وجود فساد أخلاقي في المجتمع، ويؤيد ذلك هوس الجماعة بفكرة المهودية التي ستخلص المجتمع من الفساد وتنشر العدل، ولكنها لم تفجر، ولم تقتل أفراد المجتمع أثناء مسيرتها الدعوية، ولم تتعرض للأجانب.

إن القضاء على تنظيم داعش، لا يكفي لحماية المجتمع. فهي جماعة سوف تنتهي وتبقى فكرتها لتنتقل إلى جماعة جديدة قد تكون أكثر منها تشدداً، وقادرة على اختراق المجتمع وإقناعهم والتأثير فيهم، إذ عندما شعر تنظيم داعش بالهزيمة الجماعية أطلق مشروع الذئاب المنفردة، وذلك لتهديد به

<sup>27</sup> ضياء الدين سردار، الأزمنة ما بعد العادية: نموذج معرفي جديد في الدراسات المستقبلية، الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، 2018، ص 84

مناطق العالم، بما فيها المملكة، ليهز المجتمع، خصوصًا أن جميع حالات قتل الأهل والأقارب تمت أثناء ممارسة الحياة اليومية بشكل طبيعي، ومن داخل طبقة وسطى محافظة.

إذن؛ فالمجتمع أمام صورتين من صور الجريمة الإرهابية، إحدهما الشكل الشائع للأعمال الإرهابية، والأخرى عمليات قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية، وهذه حالات ظهرت فجأة وبشكل مباغت ثم اختفت. ورغم اختفائها، فإن هذا الأمر لا يضمن نهايتها تمامًا، بل قد تعود في شكل آخر مختلف، ومن ثم علينا توقع أشكال إرهاب تتطور باستمرار ضد المجتمع، طالما ظل الفكر الإرهابي حاضرًا فيه.

لذلك من المهم التفكير في عدد من المقترحات والآليات التي يمكن للمجتمع بواسطتها التعامل مع العمليات الإرهابية، ومحاولة الوصول إلى طرق أنجع للمواجهة.

#### مقترحات من أجل مستقبل أفضل

يواجه المجتمع خلال عقود أشكال جديدة للإرهاب بشكل مستمر، مما يتطلب بناء إستراتيجية تقوم على فحص دقيق لأشكاله خلال خمسة عقود، والتعرف على أكبر قدر ممكن من متغيراتها المستقلة (الأسباب الثابتة بين الجميع كالعمر والتعليم...)، وذلك تمهيدًا لبناء معايير ومؤشرات تسهم في توقع مستقبل الإرهاب، ووضع سيناريوهات تسهل من عمليات التصدي له، وحماية المجتمع منه. ويمكن اقتراح أربع أدوات يمكن أن تسهم في مساعي القضاء على الإرهاب ضد المجتمع، هي: حماية بيانات الأفراد الشخصية، وتعزيز القيم الصلبة في المجتمع، ودعم قيم العدالة بالقانون، وحماية قيم قدسية الأسرة، وذلك كما يلي:

#### - حماية بيانات الأفراد الشخصية

ترتبط حماية بيانات الأفراد الشخصية بمسألة الأمن المجتمعي، التي يتزايد الاهتمام بها عالميًا، من خلال قيام الجماعات المتشددة أو الدول المعادية بجمع بيانات الأفراد الشخصية والمتناهية الصغر مثل معلومات عنه واتجاهاته الفكرية وموقفه من الأحداث...، التي تنشر بصفة اعتيادية في وسائل التواصل الاجتماعي، وتصنيفها وتحليلها واستخراج العلاقات بين متغيراتها بسرعة عالية ودقة شديدة، بطريقة يمكن من خلالها تغيير الواقع وتوجيه مستقبل الأحداث، وليس التعرف على الواقع وإدارته فقط.

وترتبط بيانات الأفراد الشخصية بالنشاط الإرهابي الذي يقوم به العقل الأداتي، المشار إليه سابقاً، ومن أبسط الأشياء التي يمكن التعرف عليها مثلاً، إمكانية وضع خارطة جغرافية لأنماط الجريمة في أي مجتمع، والأدوات المستخدمة فيها، وآراء الناس حولها، في جميع المدن والقرى، من خلال تتبع ما يبحثون عنه في محرك البحث قوقل، وما يشاركون به في تطبيقات التواصل (تويتر، فيسبوك، سناب شات، إنستغرام، واتساب...). ولذلك تسعى بعض الدول إلى حماية البيانات الشخصية لمواطنيها، ويوجد نظام أوروبي خاص بعمليات "حماية البيانات الشخصية". ومع مستقبل "إنترنت الأشياء" المتوقع فيه أن تتحول جميع الأشياء من حولنا (ثلاجات وأفران وأحذية ونظارات وأقلام...) إلى أجهزة رقمية تعمل على جمع بيانات الأفراد من حولها وإعادة إرسالها، وهناك مخاوف أمنية من اختراقاتها.

لذلك من المهم التنبيه إلى خطورة البيانات الشخصية للأفراد، في ظل استهدافها من قبل الجماعات المعادية التي تسعى لنشر الفوضى في المجتمع وأهمية وضع نظام لحماية البيانات الشخصية، خصوصاً أن السعوديين يعدون من أكثر الشعوب نشاطاً في وسائل التواصل الاجتماعي واستخداماً للألعاب الإلكترونية.

#### - تعزيز القيم الصلبة في المجتمع

تؤكد الدراسات وملاحظة الواقع أن القيم المحكومة بالعادات والتقاليد، التي تشرف عليها مؤسسات الضبط الاجتماعي غير الرسمية كالأُسرة والأقارب والجيران والمسجد كانت أكثر صلابة من القيم المحكومة بالأنظمة والقوانين التي تشرف عليها مؤسسات الضبط الاجتماعي الرسمية. وقد فكك عالم الاجتماع البولندي زيجمونت باومان القيم الصلبة التي تحولت إلى قيم سائلة في مشروعه لنقد الحداثة، وصدر منه سبعة كتب منها: كتاب "الحياة السائلة"، وكتاب "الحداثة السائلة"، وكتاب "الأخلاق السائلة". وأوصى في مشروعه بأهمية تعزيز القيم في الأسرة وإعادة القداسة لها، من أجل أن تقوم بدورها في حماية المجتمع. لذلك، من المهم دمج دراسة توقعات تحولات القيم في أي مشروع تعليمي وصحي واقتصادي واجتماعي.

#### - دعم قيم العدالة من أجل تكافؤ الفرص

ترفع قيم العدالة من نشر قيم: تكافؤ الفرص وقبول الآخر وعدم الشعور بالاغتراب، والسماح بتعدد الثقافات في المجتمع الواحد، وذلك بوضع الأنظمة والقوانين، فالقانون كفيل بإصلاح المجتمع ودعم الثقة بين أفراد

ومؤسساته، ومن ثم تنتشر قيم نفي التحريض على استخدام العنف ضد المخالف؛ لأن التحريض ينشئ الأدلجة ويبث قيم الكراهية، وإذا كان صموئيل هنتنجتون لاحظ انتهاء صراع الأيديولوجيات والانتقال إلى صراع الحضارات، "حيث لا تستمد الشعوب هويتها الأساسية من انتمائها الأيديولوجي، كما حدث أيام الحرب الباردة، بل من إرثها الثقافي تحديداً<sup>28</sup>؛ فإن هذه الملاحظة لا تعني بالضرورة أن الأيديولوجيات الكبرى، التي عرفت بالحرب العالمية الباردة، قد انتهت من العالم كله، إذ ما تزال الجماعات المتطرفة التي تفسر الدين بطريقة راديكالية نشطة في أجزاء من العالم، ومنه العالم العربي، وتغرس أفكارها في لاوعي البسطاء، مستغلة ما يتقاطع مع مصالحها من نصوص السلف، من خلال قنوات تواصل مباشرة وغير مباشرة، من أهمها التقنية والتعليم، حتى صارت بعض المعلومات في المقررات الشرعية في التعليم تتفق مع فكر داعش من ناحية المصادفة لا من ناحيتي التأييد والاتفاق؛ لذلك يرى ساري حنفي أن سرديات السياسة الشرعية في التعليم الجامعي "ما هي إلا تنظير واع وغير واع لما تقوم به الدولة الإسلامية (داعش)، ففكر وإستراتيجية تنظيم القاعدة وداعش لم ينظر له فقط من قبل كتابي الفريضة الغائبة لمحمد عبد السلام فرج، وإدارة التوحش لأبي بكر ناجي، وإنما عشرات الكتب التي تدرس في الجامعات العربية"<sup>29</sup>.

### - حماية قيم قدسية الأسرة

وذلك من خلال تعزيز قيمة الثقة بين أفرادها، فالأسرة عموماً تتعرض للتآكل وضياح الأدوار بداخلها، وإذا كانت دراسة عربية أجريت في الجزائر أشارت إلى تعرض الأسرة إلى تراجع دور الأب، وتولي الأبناء مركز القوة والسيطرة والتحكم في مصير الأسرة<sup>30</sup>، وإذا كانت التقنية استطاعت تفكيك روابط الأسرة من خلال عيش كل فرد من أفراد الأسرة مع أسرته ولكن لا أحد منهم يتنبأ بما يفكر فيه أخوه أو أخته في الغرفة المجاورة، فإن فكر داعش يسعى لخلط مفهوم القرابة بالدولة، وهما أهم دعامتين للمجتمع، من خلال الاستخدام الشاذ لنصوص الدين. والتصدي لهذا الفكر الإرهابي المباغت لن

<sup>28</sup> فرنسيس فوكوياما. الثقة: الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي.

ترجمة معين الإمام ومجا الإمام، قطر: منتدى العلاقات العربية الدولية، ط 1، 2015، ص

23

<sup>29</sup> ساري حنفي. من نظر لداعش: قراءة لمقرر السياسة الشرعية في جامعة خليجية، نشرت في موقع معهد العالم للدراسات، 25 سبتمبر 2016.

<sup>30</sup> فاطمة الزهراء نسيبة، العنف ضد الأصول في الأسرة الجزائرية المعاصرة، أطروحة دكتوراه، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2013، ص 28

يتحقق إلا بحلول سليمة جديدة، من أهمها حماية الأسرة. ويصف عالم النفس الشهير فرويد في كتابه "في قلق الحضارة" الوصية الشهيرة: "أحبب قريبك كما تحب نفسك"، بأنها إحدى المطالب المثالية للمجتمع المتحضر، وأنها قميئة بأن تهدينا إلى سواء السبيل<sup>31</sup>، ويعلق باومان بأن هذه الوصية تعد اليوم تناقضاً مع العقل الذي تروجه الحضارة، عقل المصلحة الشخصية الذي يبحث عن المنفعة الخاصة تسوغ تواصله مع جيرانه<sup>32</sup> أو أقاربه، دون اعتبار للأخلاقيات ولقيم المجتمع، ويلحظ فرويد: "أن الإنسان نزاع إلى تلبية حاجته العدوانية على حساب قريبه، وإلى استغلال عمله بلا تعويض... وإلى وضع اليد على أملاكه وإذلاله، وإلى إنزال الآلام به واضطهاده وقتله، الإنسان ذئب للإنسان"<sup>33</sup>. وكما يرى فوكوياما أنه: "وبالطبع لا يمكن لأي حكومة إصدار مرسوم تشريعي بإيجاد بنية عائلية قوية ومستقرة، ومؤسسات اجتماعية متينة بالطريقة التي تنشئ بها جيشاً أو مصرفاً مركزياً، إذ يعتمد المجتمع المدني المزدهر على عادات الناس وتقاليدهم ومبادئهم الأخلاقية، وهي سمات لا تتشكل إلا بطريقة غير مباشرة عبر الفعل السياسي الواعي، ومن الضروري تكريسها وتنميتها عبر زيادة الوعي واحترام الثقافة"<sup>34</sup>.

أحد المعالجات الاجتماعية، في رأيي يكمن، كما أشرت منذ البداية، في إعادة القداسة للأسرة، وهذا يتطلب إجراء سلسلة من الإصلاحات الواقعية، من أبرزها: سن أنظمة تؤكد على قداسة الأسرة، وتحمي الأصول من الفروع، كما سنت أنظمة تحمي الفروع من الأصول، كنظام حماية الأطفال والمرأة من الإيذاء، وتقليص الفجوة بين رسم المجتمع المثالي في التعليم والإعلام والمجتمع الواقعي، ورفع مستوى الشفافية، والحرية في الرأي، وفتح الحوار مع من يخالفنا فكراً، مع إعطائه الأمان مهما اختلف معنا فكراً ودينياً، وإيقاف الحوارات الوطنية الزائفة التي تروج لاختلافات ثانوية بوصفها أساسية، ونجد بذورها في التعليم وبعض المؤسسات المجتمعية والإعلام القديم وليس لها فاعلية، وكذلك طرح ما يحتاجه المجتمع واقعياً، لأن الواقع يكشف هوة كبيرة بين الحوار الذي تريده المؤسسات الحكومية والحوار الشعبي المطروح في الإعلام الجديد، فروح الحوار الشفاف والانفتاح الفكري في المدرسة، والعمل، والشارع، وفي الإعلام

<sup>31</sup> سيغموند فرويد، قلق في الحضارة، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت: دار الطليعة،

ط4، 1996، ص 68

<sup>32</sup> زيجمونت باومان. الحب السائل، مرجع سابق، ص 117

<sup>33</sup> سيغموند فرويد. قلق في الحضارة، مرجع سابق، ص 72

<sup>34</sup> فرنسيس فوكوياما. الثقة، مرجع سابق، ص 23

القديم والجديد، وبين أفراد الأسرة يمثل سببًا مهمًا في الاستقرار الأمني، ففي رأيي أنه كلما زاد الحوار والشفافية في الأسرة قل العنف الديني، وكلما انخفض الحوار زاد العنف الديني.

### أخيرًا

قدمت هذه الدراسة تحليلًا اجتماعيًا لحالات قتل الأهل والأقارب لأسباب دينية، وهي على الرغم من أنها ظهرت فجأة واختفت، إلا أن آثارها بقيت في الذاكرة الاجتماعية، وتسببت في تصدع الثقة بين أفراد الأسرة والأقارب. وتوصلت الدراسة إلى أن تنظيم داعش يغلب عليه الطابع الاستخباراتي، الذي يعمل على أسس جماعات دينية ويستخدم أدواتها، وقد نجح في تجنيد الذئاب المنفردة لقتل الأهل والأقارب في عدد من المجتمعات، إلا أنه خسر سمعته بعدها. وبقي ترميم ما أحدثه تنظيم داعش، من خلال إعادة الثقة في الأسرة والأقارب، وحمايتهم، ووضع إستراتيجيات تعزز القيم الاجتماعية، ووضع أنظمة لحماية بيانات الأفراد الشخصية، من أجل مجتمع مستقر و متماسك داخليًا.

## المراجع

\* دكتور عبدالرحمن الشقير، دكتوراه علم الاجتماع بجامعة الملك سعود، وباحث متخصص في الدراسات الاجتماعية، له عدد كبير من المؤلفات في مجال علم الاجتماع.

### الكتب:

- أحمد معيطة، الإسلام الخوارجي: قراءة في الفكر والفن ونصوص مختارة، سوريا: دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000.
- إبراهيم إبراش، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، عمان: دار الشروق، ط1، 2009.
- إبراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، بيروت: دار الساقى، ط1، 2015.
- تزفيتان تودوروف. الخوف من البرابرة: ما وراء صدام الحضارات، ترجمة جان ماجد جبور، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث - كلمة، ط1، 2009.
- رولاند إيكرز وكرستين سيلرز، نظريات علم الجريمة، ترجمة ذياب البداينة ورافع الخرايشة، عمان: دار الفكر، ط1، 2013.
- زيجمونت باومان، الحب السائل: عن هشاشة الروابط الأسرية، ترجمة حجاج أبو جبر، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2016.
- ساري حنفي، من نظر لداعش: قراءة لمقرر السياسة الشرعية في جامعة خليجية، نشرت في موقع معهد العالم للدراسات، 2016.
- سيغmond فرويد، قلق في الحضارة، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت: دار الطليعة، ط4، 1996.
- ضياء الدين سردار، الأزمنة ما بعد العادية: نموذج معرفي جديد في الدراسات المستقبلية، الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، 2018.
- علي بن محمد الشريف الجرجاني. التعريفات، بيروت: مكتبة لبنان، 1985.

- فاطمة الزهراء نسيصة. **العنف ضد الأصول في الأسرة الجزائرية المعاصرة**، أطروحة دكتوراه، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2013.
- فرنسيس فوكوياما. **الثقة: الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي**. ترجمة معين الإمام ومجا الإمام، قطر: منتدى العلاقات العربية الدولية، ط 1، 2015.
- كمال بومنير، **العقل الأداتي بوصفه شرًا**، ضمن أعمال ندوة الشر: القيمة والخطاب- كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان- تونس، فبراير 2013.
- مجمع اللغة العربية. **المعجم الفلسفي**، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983.
- محمد الخباز. **صورة المرأة في التراث الشيعي: تفكيك لآليات العقل النصي**، بيروت: دار الانتشار العربي، ط 1، 2009.
- محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، تونس: الدار التونسية للنشر [د.ت].
- محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (أبو الفتح)، **الملل والنحل**، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، 1968.
- محمود محمد أحمد. **تطور مفهوم الجهاد: دراسة في الفكر الإسلامي المعاصر**، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1، 2015.
- منير وهيبة الخازن. **معجم مصطلحات علم النفس**، بيروت: دار النشر للجامعيين [د.ت].
- نوربير سيلامي. **المعجم الموسوعي في علم النفس**، ترجمة وجيه أسعد، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 2001.
- يوليوس فلهوزن. **أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام: الخوارج والشيعية**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1958.

#### الصحف

صحيفة الشرق الأوسط، يوم الأربعاء 29 رمضان 1436هـ/ 15 يوليو 2015، العدد 13378